محمود محمد طه

الإسلام والفنون



صفر ١٣٩٤ – مارس ١٩٧٤

الاهداء

الى المنفتحين على الله ،

السالكين اليه كل السبل ،

فانه ان من شيء الا وهو

الى الله سبيل ! !

« وان من شيء الا يسبح

بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم .. »

بســـــم اللـــه الرحمـــــــن الرحيـــــم

« تسبح له السموات السبع ، والارض ، ومن فيهن •• وأن مـــن شيء الا يسبح بحمـــده ، ولكـــن لا تفقهـــون تسبيحهم •• انه كـــان حليماً غفـــورا •• »

صـــــدق اللـــه العظيـــم

المقـــــدمـــة :

هـــــذه مقدمة كتاب « الاسلام والفنون » وهـــو عبارة عـــن متن محاضرة القيت علـــى طلبة « كلية الفنون الجميلة والتطبيقية » ، وضيوفهم ، وذلك فى يوم الثلاثاء ، ١٩٦٨/٩/٢٤ •• ولقـــد اخذت هـــذه المحاضرة عـــن الشريط ، وهى تجـــرى بلغة الكلام ، لا بلغة الكتابة •• كذلك وردت فى الاصل ••

ولقـــد اسمينا هـــذا الكتاب : « الاسلام والفنون » •• ولقـــد كان من الممكن ان نسميه : « الفنون والاسلام » ، ولكننا آثرنا الاول لأن تقـــديم كلمة الاسلام فيه توخ للحكمة التى توجب تقـــديم الفاضل علـــى المفضول ، فذلك أمر لا معـــدى عنه ، ولكننا كنا ، حين تعديناه فى فكرنا ، وحين هممنا بتسمية الكتاب علـــى النحو المشار اليه آنفا ، كنا نعتذر عـــن هـــذا الصنيع بخطتين اثنتين : كون هـــذا الكتاب يعنى ، فى المكـــان الاول ، بالفنون ، ثم يضعها موضعها فى الاسلام •• هـــذه واحدة ، والثانية ان الفن ، والاسلام ، لصيقان ، وتوأمان •• وهـــذا يقتضى تعريف الفن ، وتعريف الاسلام ••

الفـــن :

فأما الفن فقـــد سبق لنا أن عـــرفناه فى متن هـــذه المحاضرة ، وذلك حيث قلنـــا : ان الفن هـــو وسيلة التعبير عـــن ملكة التعبير •• وقلنا يومها ان ملكة التعبير انمـــا هى الحياة •• والحياة تعبر عـــن نفسها بوسائل مختلفة ، فى مستويات مختلفة •• فهى تعبر عـــن نفسها

بالحركة ، وتعبر عـن نفسها بالغذاء ، وتعبر عـن نفسها بالتناسـل ، كمـا تعبر عـــن نفسها بالشـعر ، وبالنثر ، وبالغناء ، وبالـرقص ، وبالنحت ، وبالرسم ، وبالتصوير ، وبالتمثيل ، وبالموسيقى ، وبغـيرها مـن ضروب الطاقة الفكـرية ، والجسدية ، التى تفيض ، وتتبجس ..

فهل يعنى هـــذا ان كـل اساليب الحياة للتعبير عـن نفسها فـن ؟؟ نعم !! هـذا علـى التعميم ، وفى جملة الامر ، صـحيح .. بيد أن صـور التعبير التى تمارسها الحياة البـدائية تعتبر فناً فجاً ، وتزيد فجاجته كلما انحصر فى التعبير عـن مجرد نوازع المعدة ، والجسد .. اننا لا نسمى اساليب الحيـاة ، فى التعبير عـن نفسها ، فنا ، بالمعنى المخصص لهذه الكلمة ، الا اذا ما دخلت هـذه الاساليب علـى مستوى التعبير عـن القيمة ــ القيمة فى الحياة ــ واعلى قيم الحياة الحرية .. هناك الطـاقة الحياتية ، وهناك الطاقة العقلية ، وانما بالطـاقة العقلية دخلت القيمة فى الحياة .. فالفن انما هـو تعبير الطاقة الحياتية عـن نفسها من خلال مصافى العقول المرتاضة ، الصافية ، القوية الادراك .. الفن هـو التعبير عـن حياة الفكر ، وحياة الشعور ، فى آن معـاً .. والطـاقة الحياتية انما هى اصل الحياة ، فى سـذاجة ، وبساطة .. وهى لا تفلسف ، ولا تتأنق ، ولا تحتفل ، حين تعبر عـن نفسها .. واسـلوبها فى التعبير اسلوب القصـد الصريح ، فى ممارسة اللذة ، واجتناب الالم .. ولكننا نحـن لا نعتبر اندفاعات الشـهوة فى هـذا المستوى فنا مـن الفنون .. وانما الفـن تعبير الشـهوة المحكـومة بالعقل المهـذب ، المروض المنضبط بقـواعد الخلق الرصين .. وانما مـــن اجل ترويض ، وتهـذيب ، العقول حمدت مسـاعى الفنون ، فى صورها المختلفة ، وبأساليبها المختلفة .. وانما قيمة كـل اسـلوب من اساليب الفنون هى قيمة ما يقربنا مـن تلك الغـاية .. وفى هــذا المضمار يقـع التفاوت بين أفانين الفنون ، وفيــه أيضا يقـع اختلافه

ما بين الفـــن والدين ــ الاســـلام •• ومعلوم انـــه انما هـــو دائماً اختلاف مقدار •• ولقـــد تعرضنا لتعريف الفـــن فى الاســـطر القليلة الماضية ، ولقـــد قررنا هنـــاك أن الفـــن والاسلام لصيقان ، وهـــذا يعنى انهما وجهـــان لامر واحـــد •• هـــذا الامر الواحد انما هـــو الحياة •• فالفـــن اسلوب تعبير للحياة به يزيد عمقها ، واتساعها •• والاسلام اسلوب تعبير للحياة به يزيد عمقها ، واتساعها •• ولكـــن اسلوب الاسلام اشمل ، واعمق ، وابعد مدى ، من اسلوب الفنون •• ولقـــد وردت الاشارة الى الاسلوبين : اســـلوب الفنون ، واســـلوب الاســـلام ، فى الاية الكـــريمة : ((سنريهم اياتنا ، فى الآفـــاق ،وفى انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحـــق •• أولم يكف بربك انه علـــى كل شىء شـــهيد ؟؟)) •• فهـــذه آيات الآفـــاق ، وآيات النفوس •• وهى جميعها موضوع الفنون ، وموضوع الاسلام •• فأما الفنون فانها تعنى بآيات الآفـــاق ، اكثر مما تعنى بآيات النفوس ، ولكـــن عنايتهـــا بهـــذه غـــير غائبة •• واما الاسلام فانه يعنى بآيات الآفاق ، ويتخذها مجـــازاً الى آيات النفوس ، وعنـــايته بهـــذه ، وبخاصة فى اخـــريات مراقيه ، اكبر واعظم •• وللعلم التجـــريبى فى هـــذين مجال ، ولكنه ليس هنا بذى بال •• ويكفى فيـــه ان يقـــال : ان الفـــن ، والدين ، والعلم ، متداخلة ، والاختلاف بينها انما هـــو اختلاف مقدار ••

الاســــــلام :

وعنـــد الاسلام آيـــات النفوس مقصـــودة بالاصالة ، وآيـــات الآفـــاق مقصودة بالحـــوالة ، بمعنى ان الانسان يعبر علـــى آيـــات الظـــاهر ليصل الى فهم آيـــات الباطن ، فينسقها مـــع الظـــاهر حتى تستقيم له حياته ، وتتعمق ، وتتسع •• وفى الاسلام الظاهر انما هـــو ظل للباطن ــ الكـــون الظاهر انما هـــو الكـــون الباطن فى حالة بروز

وتجسيد •• والاسلام انما يعني الانقياد ، والاستسلام •• وهـو يبدأ بمحاولة الحى ان يوجـد نوعاً مـن العـلاقة الحميمة بينه وبين البيئة الطبيعية التى يعيش فيها وذلك باقامة نوع من المصالحة ، والمصادقة ، والمودة معها •• أو نوع مـن التقية ، والمحـاذرة ، والخشية منها •• ومن ههنا نشأت العبادة ، ونشأ العلم ، ونشأ الفـن ••

ان الوجـود المـادى ، المحسوس ، انما هـو لحن من الموسيقى العلوية •• هـو لحن متسـق ، منسجم ، مهـذب ، لا نشوز فيـه ، ولا شذوذ •• ونحـــن الآن انما نتعلم العلم لكى نستطيع به ان نسير بحياتنا فى مصاقبة ، وفى سلام مـع هـذا اللحن العلوى العظيم •• نحـن انما نتعلم العلم الذى يعيننا علـى تنغيم حياتنا مـع بيئتنا •• ولقـــد علمنا ان هـــذا العلم لن يكـــون علم الظواهر الطبيعية ، فحسب ، وانما هـو علم الظواهر والبواطن — علم آيـات الآفـاق ، وآيـات النفوس — وبواطن للظواهر تقـول : ان الكـــون المادى ، المحسوس ، انما هـو الارادة الالهية جمدت ، وتجسدت •• ان الكون هو مظهر قدرة الله ، تبارك ، وتعالى ، فانه ، تبارك وتعالى ، عنـدما أراد اظهار المخلوقات احـاط بها علماً ، باسمه العـالم •• ثم خصص الصورة البدائية لظهـورها ؛ وذلـك باسمه المريد ، ثم أبرز هـــذه الصورة ، الى حيز المحسوس ، وذلك باسمه القادر •• وباسم القـادر تم تجسيد العلم الالهى •• والعلم الالهى صـفة قديمة ، قائمة بـذات الله القديمة •• فما هـو غيرها ، وانما هـو هى ، فى مرتبة التنزل ، لتظهر ، لتعـرف ••

ان البيئة التى نعيش فيها انما هى بيئة روحية تجسدت ، وكـان من تجسيدها السموات ، والارض ، وما فيهما ، وما بينهما ، واصـبح علينا ، لكى نعيش فى وئام مـــع بيئتنا ، ان نعلم ظاهرها — آيـات الآفاق ، ونعلم باطنها — آيـات النفوس •• قال تعـالى ، فى ذلـك ،

« سنريهم آيـاتنا ، فى الآفـاق ، وفى انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق •• أولم يكف بربك انه علـى كل شىء شهيد ؟؟ » ونحـن ، مـن اجل هـذا العلم ، نحتاج العلم التجريبى ، وهـذا اكثر تركيزاً علـى الظواهر ، منه علـى البواطن •• بل هـو يكاد يقتصر علـى الظـواهر وحـدها •• ونحـن ، مـن اجل هـذا العلم ، نحتـاج الفنون ، بكـل صورها ، وضروبها ، وهـذه موزعة بين الظـواهر والبواطن ، وتركيزها علـى الظواهر اعظم ، ودخولها فى البواطن غير موجه بالنهج الـذى يضمن لهـا التغلغل فى هـذه البواطن ، ممـا يزود الفنان بالقدر الكافى مـن علـم اسرارها ، وانما هى تقتصر علـى الهامات نفس الفنان ، وموهبته ••

ونحـن نحتاج الدين مـن اجل هـذا العلم •• والدين يبدأ بالظواهر ، ويتخذها معبراً الى البواطن •• وهـو انما يزيد تركيزه على البواطن كلما تمرس المتدين بمنهاج العبادة ، وكلما روض عقله ، وقلبه ، علـى ادب الشريعة ، وادب الحقيقة •• « أولم يكف بربك انه علـى كل شىء شهيد ؟؟ » اشارة الى الاسـتغناء بالبواطن عـن الظواهر •• اشارة الى الاستغناء بالله عـن جميع الخلق •• وذلك انما يكون عنـد الاستواء ، حيث لا يبقى ، فى الوجـود ، غير العبد ، والرب — العبيد الآخرون موجـودون ، ولكن وجـودهم لا يتخذ وسيلة الى معرفة الله ، وانما معرفة الله وسيلتها ذاتها — هـذه تبدأ عند نهايات البدايات ، ويطالع بهـا المصطفون ، الأخيار ، فى هـذه الدار ، ثم لا تكـون لنهاياتها نهايات ، وانما هـو الترقى السرمدى ••

المـوسـيقى :

الموسيقى اسمى الفنون ، واعلاها ، واقدمها •• وهى ، فى حقيقتها القديمة ، هـذا اللحن العلوى ، الذى تحرك فى سلمه السباعى ، يحكى

منازل الانسان وهو يسير فى طريق الاغتراب ، ثم يحكيها وهو يسير فى طريق الرجعى الى الوطن القديم •• هذه الحركة هى المحكية فى قوله ، تبارك ، وتعالى : « لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ❊ ثم رددناه أسفل سافلين ❊ الا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، فلهم اجر غير ممنون » •• فى هذه ثلاث الآيات جاءت صورة الاغتراب ، وصورة العودة من الاغتراب •• هذه الحركة ، فى الهبوط ، وفى الرجعى ، هى حقيقة الموسيقى •• وهى ، فى جميع مراحلها فى البعد والقرب ، ذات سلم سباعى •• مرحلتها الاولى ، فى طريق البعد ، الصفات السبع : الحى ، العالم ، المريد ، القادر ، السميع ، البصير ، المتكلم •• ومرحلتها الثانية الحواس السبع : القلب ، والعقل ، والسمع ، والبصر ، والشم ، والذوق ، واللمس •• ومرحلتها الثالثة النفوس السبع : الكاملة ، والمرضية ، والراضية ، والمطمئنة ، والملهمة ، واللوامة ، والأمارة •• ومرحلتها الرابعة الايام السبعة : الأحد ، والاثنين ، والثلاثاء ، والاربعاء ، والخميس ، والجمعة ، والسبت •• ومرحلتها الخامسة السموات السبع : السماء السابعة ، والسادسة ، والخامسة ، والرابعة ، والثالثة ، والثانية ، والأولى •• ومرحلتها السادسة الأرضين السبع : الارض الأولى ، والثانية ، والثالثة ، والرابعة ، والخامسة ، والسادسة ، والسابعة •• ومركز هذه هو اسفل سافلين المشار اليه فى الآية الكريمة ، حيث قال ، جل من قائل : « ثم رددناه أسفل سافلين » •• وقد نزل الانسان هذه المنزلة فى مرحلة التنزل السابعة •• ثم انه استأنف سيره ، فى طريق الرجعى ، من هذا البعد السحيق •• ولقد جاءه الاذن بان يأخذ فى طريق الرجعى ، وذلك حيث حكى الله تبارك وتعالى عنه : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، انه هو التواب الرحيم •• » وانما

تاب عليه ليتوب — يعنى ليرجع ..

وفى اسفل سافلين ، وهو مركز الارض السابعة ، كان آدم فى ادنى درجات التجسيد — ذرة غاز الهيدروجين .. ثم انه استأنف سيره فى طريق الرجعى فنزل المنازل المختلفة .. وحين دخل مرتبة المادة العضوية ، وظهر فى حيوان الخلية الواحدة ، بدأت الحواس بحاسة اللمس (الحس) .. واطرد ترقيه حتى دخل مرتبة الحيوان السوى ، المكتمل .. وهذا معنى قوله تبارك وتعالى : ((فاذا سويته)) .. ثم اطرد ترقيه ، ودخل مرتبة البشرية ، وصار له عقل .. فذلك معنى قوله تعالى : ((ونفخت فيه من روحى)) .. ثم انه نزل منزلة التكليف ، حين صار له عقل ، وحين اصبح له فى ملكوت الله ذكر ، بعد ان لم يكن .. فذلك معنى قوله تعالى : ((هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكوراً ؟؟))

هذه هى الموسيقى فى حقيقتها العليا .. هذا اللحن المنسجم ، المنسق ، المهذب الحواشى ، المنطلق فى طريقى الصدور والورود — الصدور من موطنه الأول الى موطن البعد والاغتراب ، والورود من هذا البعد آيباً الى موطنه الاول من جديد بعد طول هذا الاغتراب ، وطول هذا البعد — هذا اللحن — هذه الحركة المحتشدة — هو الموسيقى فى حقيقتها العلية .. وطريق الأوبة ، من اسفل سافلين ، الى الموطن الاول ، فى احسن تقويم ، طريق مرسوم عبر الارضين السبع ، والسموات السبع ، فى تعاقب الايام السبعة ، فى مراقى التقوس السبع ، والحواس السبع ، والصفات السبع ، الى مرتبة الانسان الكامل ذات المقامات السبعة ..

وفى اثناء طريق العودة ، ومن خلال تعاقب الايام السبعة ، نشأت العناصر المختلفة ، ثم نشأت الحياة ، ونشأت الأديان ، ونشأت

العلوم ، ونشأت الفنون ، وذلــك فى الآماد السحيقة ، مــن الازمنة السـحيقة •• ونحــن ، فى هـــذا المجال الضـيق ، لا يسعنا الا ان نقفز قفزة كبيرة ، نصل بها الى نهايات البدايات ، حيث الأديان والعلوم التى نألفها اليوم ، وحيث الفنون فى المسـتوى الذى نعـرفه عــن الكلمــة المنظومة ، والكلمــة المنثـورة ، وحيث النحت ، والرســم ، والتصوير ، والغناء ، والرقص ، والموســيقى ، والتمثيل ، وبقية ضروب الفنون •• واعــرق للفنون ، واعظمها ، واشرفها ، علــى اطلاقها ، الموسيقى •• وانما يجىء شـرفها مــن امرين : احدهما ارتبــاطها بالاصوات ، والصوت لازمة لا تنفك عــن الحركة ، والحـركة اصل الوجــود الحادث ، علــى اطلاقه •• وثانيهما انها تدرك بحاســة السـمع •• وحاسة السـمع اشرف الحـواس السبع (ما عدا القلب والعقل) فهى تلى القلب ، والعقل ، وتجىء بعـدها حاسة البصر ، ثــم حاسة الشـم ، ثم حاسة الـذوق ، ثـم حاسة اللمس (الحس) •• ويجىء شـرف حاسة السمع علــى حاسة البصر ، وبقية الحــواس الاخــرى ، مــن سعة ما تـؤدى الى العقل مــن معلومات ، والى القلب مــن احاسيس •• .هــذا ما مــن اجلــه قـدم السمع علــى البصر فى سائر آيــات القــرآن ، واعطى منزلة الشرف فيها ••

السـمع يتــأثر بالاصــوات ويؤديهــا الى العقــل ، والقلب •• والاصوات هى الأكوان جميعها ، المرئى منها ، وغير المرئى ، والمسموع منها ، وغير المسموع •• فانه ما مــن شىء فى الكون الحادث الا وهــو فى حــــركة لا تنقطع ، حتى اكثف المــواد التى نــراها ، ونعــرفها ، فانها ، فى الحقيقة ، مهلهلة ، مخللة بفجوات تتحــرك فيها ذرات تكوينها حــركة متصلة كما تتحــرك ذرات البخار فى السحابة « وترى الجبال تحسبها جامدة ، وهى تمر مر السحاب •• صــنع الله الــذى اتقن كل شىء •• انه خبير بما تفعلون •• » وكل متحــرك لابد مصوت ، ولكننا

نحـــن لا نسمع الا قطـــاعاً خاصاً ، وصغيراً جـــداً ، مـــن اصوات هـــذه العناصر المتحـــركة ٠٠ ان ما نسمعه منهـــا بالنسبة الى ما لا نسمعه كالنقطة مـــن المحيـــط بل هى اصـــغر ٠٠ ولقـــد قيدنا بعض الاصوات التى نسمعها فيما سمى بالحـــروف الرقمية وهى ، عنـــدنا فى اللغة العـــربية ، ثمانية وعشرون حـــرفاً ، هى الحـــروف الأبجـــدية المعـــروفة ، هـــذا اذا لم نعد لام الألف والهمزة المقطـــوعة ٠٠ وهناك كثير مـــن الأصوات التى نسمعها لا تخضـــع فى ضبطها للحـــروف الرقمية ٠٠ وجـــاء تسجيل الموسيقى للأصـــوات بصورة أوفى مـــن تسجيل الحـــروف الرقمية ٠٠ وهـــو ذو سلم سباعى هـــدفه دقة التنغيم فى الانتقال بين مستويين مـــن مستويات الصـــوت ، وكـــأنه ، فى ذلك ، حكاية لأطوار الخلق السبعة التى سبقت الاشـــارة اليها ، فى امر الصـــفات ، والحـــواس ، والنفوس ، والسمـــوات ، والأرضين ، والايام ٠٠ وغـــرض الموسيقى مـــن اللحن المنغم ، المتسق ، المهـــذبه الحواشى ، ان توجـــد فى داخـــل النفس البشرية نوعا مـــن التنغيم ، والاتساق ، والتهذيب ، يحل محل التشويش ، والنشاز ، الذى يعتمـــل فيها ٠٠ هـــذا هـــو السر فى الراحـــة التى تجـــدها النفس عنـــد الاستماع الى قطعة مـــن الموسيقى الراقية ، ومـــع ذلك فان الموسيقى ، فى جميع مستوياتها ، قاصرة عـــن تأدية هـــذا الغـــرض ، الا لفئة قليلة جـــدا من الناس ٠٠ وهى ، حين تؤديه انمـــا تؤديه فى حد ضيق جداً وذلك يرجع لسببين رئيسيين ، أولهما : ضيق نطاق الاصوات الذى تعمل فيـــه الموسيقى ، اذا ما قـــورن بالاصوات مـــن الحـــركات التى هى مـــوروث النفس البشـــرية فى منازلها المختلفة التى اوردنا اليهـــا الاشارة آنفـــا ٠٠ وثانيهما هـــو أن الموسيقى لا تملك منهاجاً يقـــوم بترويض النفس البشرية ، وتدريجهـــا ، حتى تســـتطيع ان ترتفـــق بالموسيقى الراقيـــة فتحقق بسماعها قـــدراً مـــن التنغيم الداخلـــى ،

والمواءمة ..

القــرآن هــو الموســيقى :

القــرآن المقروء ، والمحفوظ بين دفتي المصحف الشريف ، قــد حــوى جميع الاكوان القــديمة ، والحديثة .. وهــو هــو اللحن العلوى الكبير ، المنطلــق يرسم طريق صدور الانسان ، مــن منبعه ، وطــريق رجــوعه ، الى مصبه ــ الــذات الالهية ــ حواها ، وحــوى حــركاتها ، فلم يغادر منها شيئا .. قال تعالى ، في الاشارة الى ذلك : « ووضع الكتاب ، فترى المجــرمين مشفقين مما فيه ، ويقــولون : يا ويلتنا !! مال هــذا الكتاب لا يغــادر صغيرة ، ولا كبيرة ، الا احصاها .. ووجــدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك احــداً .. » معلوم ، لــدى المعنى القــريب ، ان الكتاب المقصود هنا هــو كتاب اعمــال الافراد .. ولكــن ، لدى المعنى البعيد ، فــان الكتاب هــو القرآن .. وهــو لا يغادر صــغيرة ، ولا كبــيرة ، في ذرات ، واجرام ، الاكوان الا احصاها ، قيداً وشــمولا .. وفي نفس هــذا المعنى يرد الحوار الــذي جرى بين فرعون وموسى : « قال فمن ربكما يا موسى * قال ربنا الــذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى * قال فما بال القرون الاولى * قال علمها عند ربي في كتاب .. لا يضل ربي ولا ينسى .. » فان هــذا الكتاب انما هــو القرآن .. والقرآن انما رصد سير موجة الاكوان ، العلوية والسفلية ، وفي مقدمتها الانسان ــ رصدها بين الصدور والورود الى المنبع الذي منه صدرت ــ لأنه انما هو كتاب تسليك وهداية .. وفيــه يقول تعــالى : « وقلنا يا آدم اســكن أنت وزوجك الجنة ، وكلا منهــا رغداً حيث شئتما ، ولا تقربا هــذه الشجرة فتكونا مــن الظالمين * فازلهما الشيطان عنها ، فاخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا : اهبطوا !! بعضكم لبعض عــدو ، ولكم في الارض مســتقر ، ومتاع ، الى حين * فتلقى آدم مــن ربه كلمات ، فتاب

عليه •• انه هــــو التواب الرحيم ❋ قلنا اهبطــوا منها جميعاً !! فاما يأتينكم منى هــدى ، فمن تبع هــداى فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون •••)) هــــذه هى لمحة مــــن قصة اكتمال الخلقة ، واكتمال التقويم ، ((يا آدم أسكن انت وزوجك الجنـــة ، وكلا منها رغداً حيث شئتما)) وهى قصة الخـــروج فى طريق البعد ((قلنا اهبطوا !!)) ، وهى قصة الصـــراع فى موطن البعـــد ، والاغتراب ، ((بعضكم لبعض عدو)) وهى قصة أجــل الاغتراب ، فى موطن الاغتراب ، ((ولكم فى الارض مستقر ، ومتاع ، الى حين)) •• ثم هى قصة الاذن بالعـــودة الى الوطن القديم ((فتلقى آدم مــن ربه كلمـــات ، فتاب عليه)) •• ومن باب التوبة اهداء طريق العودة الى الوطن القديم ((فاما يأتينكم منى هــدى ، فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون)) •• وهذا الهدى انما هـــو القرآن : ((ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم)) •• ومعنى ما فى هـــــذه الآيات الكــريمات هـــو ما ورد فى قوله تعالى فى سورة والتين : ((لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ❋ ثم رددناه أسفل سافلين ❋ الا الذين آمنــوا ، وعملوا الصالحات ، فلهم أجــر غير ممنون ••)) ولا تتم الهداية ، فى طريق العودة بالقـــرآن ، لجميع الخلائق ، فى دار واحدة ، فان منهم مـــن تبدأ هدايته فى الدار الدنيا ، ومنهم مـــن تبدأ هدايته فى الدار الاخرى •• وكلهم مصيره الى السير السرمدى علـــــى طريق الرجعى الى الله ، فانه ما مـــن الله بد •• ((يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه)) ••

لقد تحدثنا فى متن المحاضرة ، عن ان الاصل فى صناعة الأوتار التى تنقل الالحان ، انما هى تجربة بخيط ، يثبت فى طرفيه ، ثم ينقر ليتذبذب بكليته ، وترصد ذبذبته ، ثم يقسم الى نصفين ، وينقر كل نصف ، ثم يقسم الى أثلاث ، والى أرباع ، وهكذا •• وترصد ذبذبة كل جـــزء •• هكذا الشأن فى القـــرآن ، فان الوتر الـــذى يعـــزف فيه لحنه مشـــدود بين

طرفى الصـــــدور والورود ، وتتحرك فيه نقطـــــة ، تمثلها ، فى الوتر الموســـــيقى ، النقطـــة التى تقسم الخيـــط الى اثلاث ، واربـــاع ، واثمان •• الخ الخ •• فالطـــرفان المشدود بينهما وتر القـــرآن هما : الذات لدى الصدور (الحقيقة العبدية) ، والذات لدى الورود (الحقيقة الالهية) « ان مثل عيسى ، عند الله كمثل آدم ، خلقه مـــن تراب ، ثم قال له كن فيكون ✻ الحـــق من ربك ، فلا تكن من الممترين •• » ثم بدأ تحرك الحـــق ، تنزلا مـــن الحقيقة ، فى منازل البعد ، منزلة ، منزلة ، فى سلم ســـباعى ، حتى نزل الحـــق منزلة اســـفل سافلين •• وهـــــذا التنزل ، فى طـــريق البعد ، هـــــو ما وردت اليه الاشـــارة بقـــوله تعالى : « ثم رددناه أسفل سافلين » •• ومنزلة اسفل سافلين منزلة حـــق •• فما هى بمنزلة باطل ، الا فى حكم الشريعة •• والحق دائماً نسبى ، والحقيقة مطلقة •• والحق يتحرك يطلب الحقيقة ، وهو يدخل مداخلها كلما تخلص مـــن طـــرف الباطل الذى اقام عليه حكـــم الشرع •• ونحـــن ، لطـــرف التنزل مـــن المصـــدر الى منزلة اســـفل سافلين ، لا نعطى مجـــالا فى مقدمتنا هـــذه ، وانما نعطى كل اعتبارنا لطرف العودة الى المصدر من منزلة أسفل سافلين •• وانما ذلك لمكـــان الارادة البشرية فى هـــذا الطرف ، وانعدامها فى ذلـــك •• ولم تجىء الارادة البشرية فى طـــرف الورود — السير فى مراقى القرب — الا فى وقت متأخـــر ، ولكنها ، مـــع ذلك ، قـــد اعطت هـــــذا الطرف منزلة الشرف على طرف التنزل •• والموسيقى القرآنية التى تهمنا الآن ، انما هى معزوفة علـــى الوتر المشـــدود بين اسفل ســـافلين ، وبين الحقيقة الالهية ، فى أول نقطـــة الورود •• فى هـــــذا المضمار يـــرد الترقى بوسائل الشريعة ، ووسائل الطـــريقة ، ووسائل الحقيقة •• وهـــــذان الطـــرفان (الحقيقة الالهية ، واســـفل سافلين) نقيضان ، أو قـــل : ضدان ، أو قل : زوجان •• وكما ان الموســـــيقى حركة بين طرفين ،

تريد أن تملأ الفـراغ بالنغم المنسجم ، المتسق ، فكـذلك العبادة ، هى محاولة لملء الفراغ بين طرفين بتحرك منسق ، ومهـذب ، من الطـرف الأدنى الى الطـرف الاعلـى ، مـن غير قفزات ، ولا نشـوز ، ولا اضطراب •• وهـذا وجه مـن الشبه كبير بين اللحـن الموسيقى ، فى الموسـيقى ، واللحن الموسيقى ، فى حياة الحى ، العاقل ، السالك •• وانما جاء القرآن بموسيقاه التى ذكرناها ليرشد السالكين فى طـريق عودتهم ، مـن الاغتراب الى الوطن — مـن البعد الى القـرب — أو قل : من الادنى الى الاعلى ، أو قل : من الحيوانية الى الانسانية •• « الم ﴾ ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين •• » •• والضدان ، أو قـل : الزوجان هما أصـل الوجـود الحادث « ومـن كل شىء خلقنا زوجيـن ، لعلكم تذكرون ﴾ ففـروا الى الله ، انى لكـم منه نذير مبين » •• وانما خلق الله ، فى الوجود ، الزوجين •• لنفهم عنه نحن لأن عقـولنا لا تميز الاشياء الا باضدادها •• فنحـن لا نعرف الحلو الا بوجود المر ، ولا نعرف الخير الا بوجود الشر ، ولا نعـرف الحياة الا بوجـود الموت ، ولا نعـرف النور الا بوجود الظلام •• فكل شىء قد خلق زوجين اثنين « سبحان الذى خلـق الازواج كلها : مما تنبت الارض ، ومن انفسهم ، ومما لا يعلمون •• » وفى قمة الازواج : الله والانسان الكامل •• والى هـذا الاشارة بقوله تعـالى : « ومما لا يعلمون » •• وفى سيرنا فى العوالم انما نحـن سائرون الى الله — انما نحـن مرتفعون مـن الادنى الى الاعلى — نستعين ، فى سيرنا ، بالتمييز المستمر الـذى تروض عقـولنا عليه الازواج المختلفة ، فى الموجـودات المختلفة ، اذ نحـن مامورون بالسير من الموجـودات الى الموجد ، ومن الاكوان الى المكون ، « ففـروا الى الله ، انى لكم منه نـذير مبين » •• وانما انزل الله القـرآن ليعيننا علـى تسديد ،

وترشيد ، فرارنا هـــذا ، من كل ما سوى الله ، الى الله ..

ولقـد استعمل القرآن فى موسيقاه الحرف ، واستعمل الكلمة .. استعمل الكلمة فى دقة مـن المعانى معجز ، وفى جمال مـــن التركيب معجـز ، وفى لحـن مـن النظم الفنى يبعث فى النفس الطـــرب ، والنشاط ، والرغبة فى التكرار الــذى لا يمل .. ولم يستعمل القــرآن الحروف الا بعـد ان استنفد وسع الكلمات .. وهــو انمـا استعمل الحـــروف ليخبرنا ان معانيه اكبر مـــن ان تؤديها الكلمــات ، مهما طوعت .. وتبدأ الحــروف ، علـــى ذلك ، بعد ان تعجز الكلمات .. ولقــد استعمل القــرآن اربعة عشر حرفاً ، من الحــروف الأبجــدية الثمانية والعشـرين ، فى افتتاح تســـع وعشرين ســورة ، علـــى اربع عشرة تشكيلة .. ومعانى الحــروف عنده تتنزل فى ثــلاث مراتب : مرتبة الحـــروف الرقمية ، وهــذه هى الثمانية والعشرون حــرفاً المعروفة فى أبجدية اللغــة العربية .. وأعلــى منها مرتبة الحــروف الصوتية ، وهـــذه تتعلق بالأصوات .. والاصوات بدورها تتعلــق بالحــــركات .. ولقـــد قررنا ان جميع ذرات الوجــود فى حــركة لا تنقطع .. فهى اذن مصوتة ، واصواتها لا تنقطع .. فنسبة الحروف الرقمية الى الحروف الصوتية كالقطرة الى المحيط .. ثم أوسع مـــن هـــذه ، وتليها فى الرفاعــة ، مرتبة الحــروف الفكرية .. وحــركة الفكر اسرع مــن حــركة المادة ، فى الطف صورها ــ الضوء .. حركة الفكر اسرع مــن سرعة الضوء .. فالحروف الفكرية تكــاد فى سعتها تلحق بالاطلاق .. وهى ، فى الحقيقة ، تقف علـــى عتبة الاطلاق .. فعندما يتناهى الفكر فى الحــركة يعجز عـــن الحركة ، ويتوقف .. وفى نقطة توقفه يبدأ الاطلاق .. وهـــذه النقطة هى قمة ما توصــل اليه اشارة القرآن .. فالقــرآن ، فى جملة ما تؤدى كلماته ، وحروفه ، ليس هــو عبارة عـــن الذات ، وانما هـــو مجـــرد اشارة الـــى

الذات •• فالذات فوق العبارة ، وهى ، فى الحقيقة ، فوق الاشارة •• فغاية ما تؤدى اليه موسيقى القـرآن هى توصيلنا الى عتبة الـذات ، ثم تخلى بين حياتنا ، وبين الحياة السرمدية ، الخـالدة ، التى لا تحيط بهـا العبارة ، وتقصر عنها حتى الاشارة •• (راجـع الرسالة الثانية من الاسلام) ••

فقمة ما تؤدى اليه موسيقى القـرآن اذن هـو قمة ما تنتهى اليه الحـروف الفكرية •• وانما تنتهى الحـروف الفكرية الى حالـة التوقف ــ الى حالة عجز الفكر عـن التفكير ــ وذلك ما سمى ، عند الصوفية ، بحالة العجز عـن الادراك ، وقد قالوا فيـه : العجز عن الادراك ، ادراك •• وهـو بعينه ما يعـرف عندهم بحالة الحيرة •• وعـن هذه الحالة يقول سلطان العاشقين ابن الفارض :ــ

زدنى بفرط الحسن فيك تحيرا ❊ وارحم حشى بلظى هواك تسعرا ••

وهـذه الحالة هى حالة الوقوف علـى عتبة الذات •• وانما يحار الفكـر فيها لانقطاع الضدية عنها •• فهى أحدية الصـفة ، وترية الوجـود •• وفى هـذا المستوى يبلـغ الفكـر ذروة قـوته ، واستحصاده •• ويبلغ القلب ، تبعاً لذلك ، قمة رحابته ، وسلامته •• ويبلغ الحى بهـذين قمة حياة الفكر وحياة الشعور •• وهذه هى الحياة التى ينتهى اليها الترقى فى الصفات السبع ، التى هى صفات الهية ، وقد وردت الاشارة اليهـا فى أول المقـدمة ، وهى : الحيـاة ، والعلم ، والارادة ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والكلام •• هـذا باعتبار التنزل ــ باعتبار السير فى طريق البعد ــ أما باعتبار المعراج ــ باعتبار السير فى طـريق الرجعى مـن البعد الى القرب ، ومـن الاغتراب الى الوطن ، فهى تتصعد هكـذا :ــ الكلام ، فالبصر ، فالسمع ، فالقدرة ، فالارادة ، فالعلم ، فالحياة •• وهـذا هـو اتجاه موسيقى القـرآن الذى سقناه الى عتبة حيرة الفكر ••

ان الفكر لهــو الاكسير الذى به تتسع الحياة ، وتتعمق •• وهو ، مــن اجل ذلك ، وظيفة القــرآن الاولى •• ولقــد قال تبارك وتعالى فى ذلك « وما ارسلنا ، مــن قبلك ، الا رجالا ، نوحي اليهم ، فاسألوا اهل الذكــر ان كنتم لا تعلمون * بالبينات ، والزبر •• وانزلنا اليك الذكر ، لتبين للناس ما نزل اليهم •• ولعلهم يتفكرون » •• « وانزلنا اليك الذكر » يعنى القــرآن كله « لتبين للناس ما نزل اليهم » وهو القــدر من القــرآن الذى يطيقونه ، ويحتاجــونه ، تبينه بالتشريع ، وبالتفسير •• « ولعلهم يتفكــرون » يعنى ان الغــرض من ارســال الرسول ، ومن انزال القــــرآن ، ومــن تبيينه بالتشريع وبالتفسير ، هــــو ان يتفكر الناس ، وان يقــوى تفكيرهم بالرياضة ، وبالمرانة فى العبادات •• ولقــــد افادت الآيــة السابقة لهــــذه نفس المعنى •• فكأنما جميع رســالات السماء ، وجميع كتب السماء ، مطوعة لترويض الفكــر •• فالفكر هــــو خادم الحياة القــــوى ، الأمين •• ولقــد سايرت موسيقى القــرآن الفكر ، مــن لدن اسفل سافلين ــ مــن لدن بروز الانسان فى المادة غــير المضوية (ذرة غاز الهيدروجين) ، حتى بلغت هــــده المــادة عــير العضوية مرتبــة المــادة العضوية ، ببروز حيــوان الخلية الواحــدة ، ومــا انفكت تســايره ، وتتعهده ، وتمخضه ، مــــن حياة الحى ، كما تمخض الزبدة مــن اللبن ، حتى بلغت به طــور البشرية الحاضرة •• وهى لن تنفك تسايره ، وتتعهده ، وتروضه ، وتهذبه ، حتى تبلغ به مرتبة الانسان الكامل •• وهيهات !!

لقــد قررنا ان موســيقى القرآن معزوفة علــــى وتر مشدود بين طــرفين ، وتتحــرك فيه نقطة •• وقررنا ان هذين الطرفين هما : الباطل ، والحقيقة •• وقررنا ان الباطل ليس باطــلا مطلقاً ، وانما هو ادنى منازل الحــق •• وقررنا أيضا أن النقطة التى تتحــرك انما هى الحق ، متطوراً نحو الحقيقة ، منطلقاً من ادنى منازله •• ونقــرر هنا

ان هـــذه الهيئة انما هى هيئة الفكر •• فالفكر حـــركة بين طرفين ، هما : الذاكرة ، والخيال •• فكأنما الهيئة هيئة ثالوث ، علــــى الطرفين النقيضان ، ويتحـــرك بينهما متحـــرك هدفه التوحيد بين النقيضين ففى ذلك اكتماله ، واستواؤه •• فالفكر يبلغ اقـــوى ما يكون حين يستوى علــــى خــط الاستواء بين هــذين النقيضين ـــ الذاكرة والخيال •• وعندما جعلت وظيفة القـــرآن ترويض هـــــذا الفكر ، وتهذيبه ، جعل خير ما فيـــه الكلمة « لا اله الا الله » •• ولقـــد جاءت لا اله الا الله بين النفى « لا » ، والاثبات « الا » ، فلكأنها تقرر أن الحـــق ، اقوى ما يكون الحـــق ، لا هـــو الى طـــرف النفى ، ولا هـــــو الى طـــرف الاثبات ، وانما هـــو « بين بين » •• ونقطة « البين بين » هى نقطة الاستقامة التى قال عنهـــا المعصوم :ـــ « شيبتنى هود واخواتها » ، وذلك فى قوله تبارك وتعـــالى من ســـورة هود « فاستقم ، كما امرت ، ومـــن تاب معـــك ، ولا تطغوا •• انه بما تعملون بصـــــير » •• ففى تحقيق الاستقامة تدريج الفكر ، وتهـــذيبه ، وتقويته ، وتحييده عـــــن الميل لأى مـــــن الطـــرفين اللذين يتجـــاذبانه •• وهـــذه هى وظيفـــة تحقيـــق التوحيد ، بكلمة التوحيد « لا اله الا الله » •• وانما مـــــن اجل تحقيقها جاءت عبادات الاســـلام ، وعاداته •• جاءت الصـــــلاة بحضرتيها ـــ حضرة الاحـــــرام ، وحضرة السلام ـــ ولقـــد فرضـــت الصـــلاة فـــوق السموات السبع •• وجعلت حـــركات الركعة ســـبع حـــركات •• وجعل السجود ، الذى هـــو قمة حـــركات الصلاة ، علـــى سبعة عظام ، مـــــن عظام الجسد •• فهـــــذه الحركات « السباعية » هى بسبيل مـــن منازل الحـــركات السبع ، التى اكثرنا ذكرها فى حديثنا فى هـــــذه المقدمة ، حتى لقـــــد تحـــدثنا عـــــن السلم السباعى فى الموسيقى ••

وبمناسبة سلم الموسيقى السباعى ، فان حركة الفكر أيضا تسير فى

سلم سباعى •• لقــــد سبق ان قررنا ان الفكــر يتحرك بين طرفين ، هما : الذاكرة ، والخيال •• ونحـــــن لا نخرج عـــن هـــذا المعنى اذا قررنا ان هـــذين الطرفين ، هما : الماضى ، والمستقبل •• فجولان الفكر بين طـرفى الذاكرة (الماضى) والخيال « المستقبل » يعزف على سلم سباعى ، هـــذا السلم السباعى يعـرف عنـد السادة الصـوفية بمراتب النفوس السبع •• وهى : النفس الأمـارة ، والنفس اللوامة ، والنفس الملهمـة ، والنفس المطمئنــة ، والنفس ، الراضيــة ، والنفس المرضية ، والنفس الكاملة •• ومراتب النفوس هـــذه انما هى طبقات العقل ، وهى هى طبقات النفس ، فى عين الوقت •• فالاطـرلف اللطيفة مـن مراتب النفوس هى مراتب عقــول •• لذا ما الفـرق بين العقــل والنفس الا الفـرق بين الارادة والشهوة •• فللعقــل الارادة ، وهى مسيطرة ، وللنفس الشهوة ، وهى مقهورة ، ومروضة ، عنــد العقــلاء العارفين •• فالعارف لا يتحرك عن شهوة ، وانما يتحرك عن ارادة ••

وجولان الفكر بين الماضى والمستقبل انما يبتغى ان يعيش صاحبه فى اللحظــة الحاضرة ، لان اللحظــة الحاضرة هى وحـــدها الزمـن الحقيقى •• والــذى يعيش فيها وحــده هـــو الذى يحيــا الحياة الكاملة ، الخــالدة •• هل تدرون لماذا نجـد المتعة فى الفنون ؟؟ لانهــا تريح فكــرنا مـــن الذبذبة بين المــاضى والمستقبل ، وتتيح لنا فرصة العيش فى اللحظة الحــاضرة •• هـــذه خاصــية فى جميع الفنون ، تتفاوت فيها بضروبها المختلفة ، مــع الاشخاص المختلفين •• فانت اذا سمعت قطعة موسيقية راقية ، أو شهدت فيلما سينمائيا جيد الموضوع ، متقن الأداء ، فانك تظل مشدوداً الى الشاشة مثلا ، منحصراً فى تسلسل صور الممثلين ، ومنشغلا بادائهم ، بجمعية لا تبقى لك فرصة للتوزع بين المــاضى والمستقبل ، حتى لكأن الزمن قــد توقف ، فى حقــك ، فى تلك اللحظة التى تعيشها ، وهى لحظة تكاد أن تكـــون خــارج الزمان ••

الانتصار علـــى الزمن الـــذى تحققه لنا الفنون الجميلة هـــو أس سعادتنا بها ، ومن ثم هـــو أصل تعلقنا بها •• هـــذا الانتصار على الزمن هـــو الحكمة فى مشروعية الصلاة ، التى هى أعلى العبادات•• ولقـــد قررنا انها فرضت من فوق السموات السبع •• ونقرر هنا انهـــا فرضـــت فى موضعين ، على مستويين •• فاما الصـــلاة الفرعية ، وهى المعـــروفة بالصلاة الشـــرعية ، فقـــد فرضت فى موضع مقـــام قـــاب قوســـين أو ادنى : « ثـــم دنا فتـــدلى * فكـــان قاب قوســـين أو أدنى » •• وهـــذا مقام شفعية ــ شفع جبريل فيـــه النبى •• وهى ، لمكان الشفعية هـــذه ، قد جاءت مرهونة بمواقيت : « ان الصلاة كانت علـــى المؤمنين كتاباً موقوتا » ، يعنى « فرضاً » له أوقات يـــؤدى فيها •• وأما الصلاة الأصلية فقـــد فرضت فى موضع مقام مازاغ البصر وما طغى : « اذ يغشى السدرة ما يغشى * مازاغ البصر وما طغى » ، وهـــذا مقام وترية •• تمت الوترية فيـــه للنبى بتخلف واسطته عنه ــ جبريل ــ اذ ليس لـــه ههنا مقام •• وانما دل علـــى وترية هذا المقـــام وصف الله حـــال النبى فيـــه بقوله تبارك مـــن قائل : « مازاغ البصر وماطغى » •• و « البصر » ههنا « الفكر » •• و (مازاغ) يعنى ما انشغل بالمـــاضى •• «وما طغى» يعنى ما انشغل بالمستقبل ، وانما توقف فى لحظته الحاضرة •• فكأن النبى قـــد توحد ههنا ، حتى لقـــد اصبح وحدة ذاتية ، فى وحدة مكانية ، فى وحدة زمانية •• وتدق هاتان الوحدتان حتى انهما لتخرجان عـــن المكان والزمان •• ومـــن ههنا فقـــد تمت لـــه رؤية مـــن لا يحويه المكان ولا الـــزمان •• ولمـــا كانت هـــذه الصلاة فى مقام الوترية فانها ليست مرهـــونة بميقات •• وانما مواقيتها الانفاس الصاعدة والهابطة •• ولقـــد قال النبى عـــن الصلاة الفرعية : « الصلاة معراج العبد الى ربه » •• وعـــن الصلاة الاصلية : « الصلاة صلة بين العبد وربه » •• فجعلت الصلاة الشرعية

سلماً يرقى بانقـــانه المصلى الى مرتبة الصلة ، حتى يكــون فى حضرة دائمة مــع ربه •• راجع (رسالة الصلاة) و « تعلموا كيف تصلون »

معلوم أن الصـــلاة الشرعية تبــدأ بداية هى مــن البساطة بحيث يطيق أداءها باحسان اقل الناس ذكاء •• وهـــذه الصلاة تشكل قاعدة الهرم الذى قمته فى صلاة الصلة •• فاذا وضح ان الصلاة هى موسيقى القـــرآن ــ ولقـــد حاولنا توضيح ذلك فى مقدمتنا هـــذه ــ فان هـــذه الموسيقى ، اذا ما قـــورنت بالموسيقى المعـــروفة لدينا فى الفنون ، فان المقارنة لا تنهض ، وتنقطع ، مـــن جميع الوجـــوه •• والانشغال بها ، وبضروب الفنون الاخرى ، بخاصة للمبتدئين ، انشغال بخلاف الأولى ، وتقـــديم للمفضول علـــى الفاضل ، ومضـــيعة للوقت فى غـــير وجه حكيـــم •• وهـــذا ما مـــن اجله حـــرمت الفنون فى الاســـــلام ، فى المرحلة •• أما للمنتهين المستوين علـــى الجـــادة فى نهايات السلوك ، فانها غـــير محرمة ، علـــى النحو الذى بينا ، فى متن المحاضرة •• ذلك لأن المستوين علـــى الجادة مـــن اصحاب النهايات يعرفون كيف يعطون كل مقام مقاله ، وكيف يرتفقون بجميع الاحياء والأشـــياء فى السير الى الله •• والى هؤلاء تقدمنا باهداء هـــذا الكتاب ، ولقد قلنا فى صـــيغة الاهـــداء :ــ

الى المنفتحين علـــى الله ،
السالكين اليـــه كل السبل ،
فانه ان مـــن شىء الا وهو
الى الله ســـبيل !!
« وان من شىء الا يسبح بحمده ،
ولكن لا تفقهون تسبيحهم •• »

وأما المبتدئون فانا ندعوهم الى أن يعبـــدوا بـــذكاء ، مبتدئين من الصلاة الفرعية ــ صلاة المعراج ــ الصلاة الشرعية المعروفة ــ سائرين

فى تقليد المعصوم باتقان ، وبـــذهن مفتوح ، فى ســـنة عبادته ، وفيما يطيقون مـــن سنة عادته .. انهم ، أن يفعلوا ذلك ، يرتقوا ، كل يوم جديد ، درجة جديدة مـــن درجات القرب من الـــذات العلية ، ويتهيئوا ليسمعوا تسبيح المسبحين بحمد رب العالمين ..

أما بعد فان هـــذه المقدمة قد طالت ، وانا لنجـــد مجال القـــول فيها ذا سعة .. ولكن المجال ، والزمن ، لا يسعفان .. فلنقبض عنان القلم .. ولنضرع الى الله أن يهدينا ، وأن يهـــدى بنا ، وأن يعلمنا ، وأن يعلم بنا .. انه نعم المولى ونعم النصير ..

بســـــم الله الرحمـــــن الرحيـــــم

متـــن المحـــاضرة

نبدأ حديثنا عن : « الفنون والاسلام » ، أو . « الفنون فى نظر الاســلام » •• ولابد مــن الاشارة الى المقدمة الطيبة ، البليغة ، التى تكــرم بها السيد رئيس الجلسة •• فهى فاتحة خير ، أن شــاء الله ، لحديث نرجو ان يرفــع نظر الناس لمـا تدخره لهم السماء مــن سعة فى حياة الفكر ، وسعة فى حياة الشعور •• وما مــن شك أن الحــديث عــن الفنون يفتح هــذه السعة ، فى الفكر ، وفى الشعور ـ يفتح بابه الفكر علــى مصراعيه •• وخاصة اذا ما قرنت الفنون بفيض الســماء ، فى القرآن ، وفى الاسلام •• ولذلك فقد كنت سعيداً جداً ، لأجد هــذه الفرصة ، لا تحدث لهــذا المستوى مــن المستمعين ، فى موضوع هــو أصل ما قام عليه الفكــر ، وما قامت عليه الحياة ، فى مدى ما عــرف الانسان الفكر والحياة ••

مــا هى الفنون ؟

والفنون هى عبارة عــن وسائل التعبير عــن ملكــة التعبيــر فى الانسان •• وملكة التعبير فى الانسان أعمــق مــــن مجرد انهــا عمل فكــرى ، هى فى الحقيقة الحيــاة •• ملكة التعبير فى الانســـان هى الحياة •• وكل حى معبر ، حتى فى حيواته الدنيا •• وتعبيره بالحيــاة فى الحياة ، هــــو حياته نفسها •• الحى عندما يأكــل ، الحى عنــدما يتناسل ، الحى عندما يفر مــن الالم ، ويحاول تحصيل اللذة ، هــــو فى كل أولئك معبر •• هــو معبر فى حياته بحياته ـ هو كليته تعبير •• ثم نحــن ، بطبيعة الحــال ، لا نطلق عبــارات الفنون على الحياة فى درجاتها الدنيا ، حيث تعبر بكينونتها كلها ، وانما نطلق عبارات الفنون علــى وسائل التعبير ، عــن ملكــة التعبير ، فى الفكر ـ فى الــذهن

البشرى •• الانسان يمكن ان يرى ان ارتفاع الانسان ، فى سلم الفكر ، عن الحيوانات التى دونه ، من الحيوانات العليا ، انما هو ارتفاع مقدار ، وليس ارتفاع نوع •• الانسان ، فى درجات ، واطوار ، تعبيره عن وجوده ، عندما تفشته الحيوانات السفلى ، كان يعبر بلسان حاله ، زى ما دايما يقال فى التصوف ، فى عبارة بالمقال ، وفى عبارة بالحال •• فالحى ، قبل أن يكون عنده عبارة باللسان ، وهو ما امتاز بيهو الانسان فيما بعد ، بيسمى معبر بلسان حاله •• بعدين ظهر الانسان ، واصبح منقسم ، بين التعبير بلسان الحال ، وهو التعبير القديم ، الذى ورثه عن الحياة الدنيا ، وبين العنصر الذى جد بظهوره، وهو التعبير بلسان المقال •• وفى المستوى دا الفنون خدمتها كبيرة لي آخر درجة للانسان •• الغرض منها ان ترتفع بعقله ، تفتق عقله ، تزيد من حيله ، وتضبط تفكيره ، تدقق تفكيره ، تفتح مجال تخيله ، وعاطفته الى الحد الممكن يرتفع بيه عقله حتى يكون تعبيره بلسان المقال فى مساواة تعبيره بلسان الحال ، الكان قبيل فى بدنه •• نحن باستمرار عقلنا بينمو •• عقل احدنا وجسده كانما فى كفتى ميزان •• نحن فى وضعنا ، اجسادنا عارفة •• دى نقطة افتكر كثيرا ما تجهل •• الاجساد عارفة ، الاجساد لا تخطىء ، ولكن تخطىء العقول •• نحن ، بوسائل التعبير والتمرين ، عاوزين نرفع عقولنا الى درجة الانضباط ، الذى به لا تخطىء ، حتى لكأننا بنحاول أن نوزن كفتى الميزان ، كفة اجسادنا مع كفة عقولنا •• اذا استطعت انت ان ترى فان كفة واحدة شايلة ، والكفة الثانية نازلة •• ولكن باستمرار عقولنا بتنمو ، حتى اذا استقام الميزان بالقسط ، تبقى عقولنا لا تخطىء ، كما ان اجسادنا لا تخطىء • عبارة ان : الاجساد لاتخطي ، انا افتكر بتحتاج الى شيء من الشرح الزائد •• لكنى لا انوى ان اشرحها فى المقدمة •• بساتركها للنقاش ، فيما بعد •• لكن

أوكد لكم انها نقطة مجهولة تماماً ..

الصــــورة أصــــل الفنــــون

الفنون كثيرة ، ما نعرف منها ، وما سنعرف ، كل مرة ، كثيرة — الكلمة فى الشعر ، أو النثر ، الصورة بالفوتوغــرافيا ، أو باليــد ، الموســيقى ، النحت ، الرســم .. الكلمــة عندما قلناها تجىء فيهــا الغناء ، وتجىء فيها المسائل البتدخل فيهــو .. لكــن كثيرة ، ويمكــن للانسان أن يقــول : الأصل فيها كلهــا الصورة .. الاصــل فى الفنون الصورة . ويمكن أن اقول : انو الصورة — الرســم — يمكن أن يكون أبو الفنون كلها .. جائز ، فى نفس الوقت ، نشأت الموسيقى .. ما من شــك انو قبل ما تتطــور الموســيقى ، بفنونها المختلفــة ، وعلميتها ، ودقتها ، كانت نشــأتها بدائية ، كبدائية نشــأة الصورة ، والرسم .. الصورة هى فى الحقيقة قيمتها فى الفهــم ، وفى الادراك ، اكبر من قيمة الموســيقى ، واكبر مــن قيمة الشــعر ، والنثر ، والمسائل الأخــرى المشاكلة لهــا .. والصورة انما عرفها الانسان والفها مــن الاحلام .. الاحلام صور .. انت لمــا تحلم حلمه بتشوف صور متحركة .. الصور دى ، عند التأويل ، تنقلب الى معانى . من بدرى الصورة ، فى الحلم ، صحبت الانسان .. لعله مــن مجرد ما بدأ يكون انسان ، وينقســم .. الحيوان ينام ، ولكنه ما بيحلم .. والانســان ينام ولكنه بيحلم . مافى عبرة بأنو ما بتذكر الحلم ، عندما يصــحى ، فانه ، وان اصبح ناسى ، هــو بيحلم .. لكــن فى احلام بيذكرها ، وفى احــلام بينساها .. فى احلام صافية ، وفى احلام مشوشة ، ومخلوطة .. ولكن ، مهما كان الامــر فان الصورة قــد كانت أول اســلوب تعليم واســلوب تعبــير للانسان .. لعلنا ، نحــن البشر ، اتعلمنا عــن الدين ، وعــن الحياة

الاخرى ، مــن الصـــور ، ومــن الاحلام •• وبكل بساطة ، الانســـان الاول لمـا كان بيرى أن أبوه المـات ، بيراه بيعمل فى عمــل زى العمل الكان بيمارسه فى حياته ، شــايل طوريته يزرع ، أو شــايل حــربته يصــيد ، أو بيعمل عمــل فى بناء بيت ، صــور زى دى أعطتنا الفهم الاولانى عــن الحياة الاخــرى •• ثم توكد هـــذا الفهم حتى جاء الوقت الذى اصبح الناس فيه متأكدين من الحياة دى ــ متأكدين حتى انهم كل ما يحتاج اليــه الانســان فى حياته يدفنوه معــاهو عنــدما يموت •• الصور دى ، هى المستمرة لغاية الوقت الحاضر ، فيما نصور نحــن الاشياء •• والمعــانى المجــردة ما ها معــانى مجردة ، الا لأن ادراكنا ليهــا قاصر ، ورؤيتنا لصورها عاجزة •• العقل القوى بيدرك المعنى المجــرد كأنما هـــو صورة مجسدة •• النشأة دى اذاً نشــأة قديمة جداً ، صحبت الانقسام الاولانى ، بين العقل الواعى ، والعقــل الباطن •• الاحــلام عبارة عــن محاولة العقــل الباطن ــ الذى هو ، بايجاز ، الجسد القبيل قلنا عنه ما بيخطىء •• الجسد وقع عليه كبت ، فى معنى ما وقعت ســيطرة العقل علـــى الشهوة عنــدما دخل الانسان مرحلة الانسانية •• الكبت دا عنــدما يرفع ــ الكبت البمارسه العقــل الواعى علــى العقــل الباطن (العقل علــى الجسد) ــ عندما يرفــع بالنوم ، العقل الباطن (الجسد) بيحاول أن يعبر عــن وجوده بالصور البنسميها نحــن الاحلام •• اذا كان الانسان شاف فى الاحلام الصور بالصورة دى ، يمكنــك ان تــدرك ، بصورة واضــحة ، أن الرسم ــ التصوير تابع ليهو ــ هو أصل الفنون •• وبمجرد من ان الانسان عرف كيف يعبر ، كان التعبير بالصوت ، وبالاشارة ، وبالصورة ، ومما لا شك فيه ان الانسان الأولانى كــان ، فى اغلب الاحيان ، بيرسم الحيــوان البيصيده ، وكان فى فكرة ، ان رســم الحيوان البيصيده يعطيه قــوة روحية وسحرية تعينه عليه •• الحيوان الانت رسمته دا ، أن كان رسمته

فى الارض ، أو فى جدار الكهف ، انت بتصيده •• ويمكـن للانسان أن يقـول ـ ودا على التحقيق ـ ان الحروف الأبجدية التى نحـن ، فيما بعد ، أخذنا نكون منها الكلمة ، هى صورة مـن تطوير هـذا الرسـم الأولانى •• يعنى انت اذا كنت عاوز تعبر لى أنا عن تور ، بترسم لى التور •• ما فى عبرة ، بطبيعة الحال ، بأن الرسم دا دقيق أو ما دقيق، لكن المهم انى أنا بفهم عنك ما تريده •• بعض الناس يجيدوا الرسم ، وبعضهم ما بجيدوه ، لكن ، على كـل حال ، العبارة بتجىء •• قليل ، قليل ، تمشت العبارة ، وتطورت ، وبدل انت ما ترسم التور كله ، يمكنك أن ترسـم رأسه والقرنين ، وأنا افهـم عنك •• ما فى داعى لرسـم باقى الجسم ••

المـوسـيقى :

تطـويراً مـن الصور جات الحـروف •• الحروف الابجـدية ، فى كل لغـة من اللغات ، هى تطـوير لصور كـان الانسان بيخططها ، وبيرسـمها فى الاول •• اذن الرسم ، هـو بالصورة دى ، أول الفنون وأهمها •• تجىء مسألة الموسيقى •• الموسيقى برضـها قديمة •• هى قديمة ، قدم الصورة لانها الحركة •• الموسيقى هى الحركة التى بها برز الوجـود •• مـن دى جات موسيقى الصوت الموقـع وموسـيقى الآلات ، ومشينا نحـن فيها نطورها لى قدام •• فالوجـود دائما فى ثنائية ، بالصورة دى ال نحن شايفنها •• مثـلا ، الليل بيعقبه النهار ، فهما نغمتان ، مثلا ، نحن بنمشى على رجلين ، بالصورة البنمشى بيها ، كـأنما هما نغمتان •• كذلك ضـربات قلوبنا ، هما نغمتان •• بعـدين الانسان لما تقدم لى قدام ، حاول ان يملأ بالنغم المحسوب ، الهادىء ، المسافة ما بين هاتين النغمتين •• قل ان شئت حاول الانسان بطـريقة علمية ، وحسابية ، أن ينتقل بين النغمتين الاولى ، والثانية ، انتقـالا

هادئا ، منسجماً ، منغماً ، من غير شذوذ ، ولا نشاز •• وهذا ما سمى بالسلم الموسيقى • فالسلم الموسيقى قــد توصل اليه بأخــذ خيط يشد أوله مــن هنا ، واخره من هنـاك ثــم يضرب ضـرباً خفيفاً وتقـاس ذبذبته ، ثم يقسم نصفين ، وبعدين يضرب ضرباً خفيفاً ، ويشوفوا الذبذبة بتاعته وتقاس ، ثم يقسم الى أثلاث ، وأرباع ، ثم تقاس الذبذبة وهكذا •• السلم الموسيقى جاء مــن حاجة زى دى •• وكذلك ملئت الفــرقة بين النغمتين الكبيرتين •• زى دى ضربة قلبك الاولانية والثانية •• الفرقة دى تملأ بنغمات هادئة وموزونة تصعد علــى السلم الموسيقى السليم •• ولذلك الموسيقى عــــريقة بالصورة اللى يمكن للانسان أن يقول انهــا تضارع الرسم ، لكن ادراكها جاء متأخر اكثر •• اذا جينا نحــن للنحت برضو قديم •• الغناء قديم ••

الفنــــون والأديــان :

لكن يمكن للانسان ان يقول : أنه ما من فن من الفنون ، الا ونشأ فى معابد الدين •• أصلو ما عــرف دين ، ما فيهو موسيقى •• يجوز مسألة الرسم ، والنحت ، فى بعض الاديان مــا فى •• **لكن الموسيقى** ، بصــورها المختلفة ، ما عـــرف دين مــا عنــدو ، حتى ولــو كــان الايقـــاع البكــــون بالطبــل، أو بكــون بالطــار ، أو بكـــون بالنوبة ، الى ان يجىء « للاورقن » بتـــاع الكنيسة ، بالصور المختلفة فيه •• لكن ما من شك فى ان الصلة كبيرة بين الفنون وبين الاديان •• والسبب فى عــلاقة الفنون بالاديان ، هـــو ان الأديان تعبــير ، زى ما قلنا قبيل •• الملكه الفينا ، عاوزة التعبير **هى الحياة** ••

نشأة الأديــان :

الاديان نشأت من تجاوبنا مع البيئة •• الانسان الاول عندما شاف البيئة الحوله ، والقوة الهائلة الفيها ، استطاع ، بذكائه الفطرى البسيط ، أن يرى انو القوة فى البيئة المحيطة بيهو ، يمكن تقسيمها الى قسمين :ــ

فى قـــوة هائلة ، رهيبة ، كبيرة ، شـــــعر مــن الاول انو ما عنـــدو بيها قدرة •• وفى قوة بسيطة ، مثل الحيوان المفترس ، أو العدو •• المشاكل البتقع فى المستوى دا هــدته الى أن يتفنن فى الحيل لمواجهتها ومقاتلتها •• وكذلك فعل ••وا ما القوى الهائلة، فقد حاول أن يوجد نوع مــن الموافقة بينه وبينها •• حاول أن يوجد نوع مــن الصــداقة •• حاول يتملقها •• حــاول يعبدها •• دى كلهــا صور مــن الحيلة وعنها نشأت العبادة •• نشأت العبادة نشأة ســاذجة •• الواحــد يحب ان يقــول ، ودى نقطة بتحتاج لتوكيد ، أنو الانبياء ما جو ليقولوا لينا ، « الله فى » •• لـــى دى نحــــن مــا محتاجين •• نحــــن البشر . ما محتاجين لان يورونا أنه هناك قــوة هائلة نحــن بازائها قاصرين ، وعــن منــازلتها عاجــزين ، وأن مــن الواجب ان نوجــد نوع مــن المصالحة معها •• ســميها ما شــئت •• ما مـــن شك اننا نحـــن ما سميناها بالصور المجــردة مــن الاسماء التوحيدية •• الرسل جـــو لى دى •• الرسل جو ليعرفونا صفات الله ، واسماءه ، لكن ، للشعور به ، فقــد وجدوا الاستعداد عنــدنا مركوز فى فطرتنا •• اننا بنعرفه بمعنى اننا بنحس بيهو ، لكـــن صفاته ، واسماؤه ، وافعـــاله ، لكـــن المعــانى المجــــردة فيها ، البتخرجنا مــن التجسيد فى العبــادة الى التجــريد ، دا هـــو ما مـــن اجله جاء الرسل • فلـــذلك الانسان الذكى ، والعــارف ، يشعر بان الدين نشأ نشأة فطرية ، وفى الارض ، وسابق للرسل •• ولعــل الرسل السابقين للاديان هم رسل العقـــول ، مش رسل البشر •• العقـــول دى أدركنا بيها وجـــود الله ادراكـــات ســاذجة ، وبدائية •• هنا عبرنا عـــن مخاوفنا بازاء القوة الهائلة ، فكان الـــدين •• ومن اجـــل دا العـــلاقة الكبـــيرة بين ملكة التعبير ، وبين الدين ، وبين استخدام الدين لوسائل التعبير المختلفة فى الفنون •• قررنا ان الموسيقى كانت نشأتها قديمة جدا •• ونقرر هنا عـــن النحت

برضـــو ٠٠ الناس كانوا بينحتو الاله كأصـــنام ، مـــن بدرى خالص ، قبل ما يجيء اساتذة الفنون ، مـــن اليونان ، ومـــن الرومان ، ومـــن غيرهم ٠٠

النحـــت والعبـــادات :

النحت الساذج كـــان محاولة لتجسيد ما يتصوره الانسان عـــن الله ٠٠ ودايماً الانسان بيتصور الوجود فى صورته ، حتى الله ، نحن بنصوره فى صورتنا ٠٠ وكذلك حكمته الالهية جات علـــى السنة الرسل لتعطيه صـــفات زى صـــفاتنا ، فلو لا أن الصفات مشتركة بيننا وبينه ، ما بنعرفه ٠٠ فى الغالب الأعم ، يمكنك أن تطلق المسألة دى ، ان النحت كان قد نشأ لنجسد بيه الصورة البنعبدها نحـــن ، فى حيز نقدر نحيط بيهو ، ونعرفه ، وندركه ، ودا ما سمى بالأصنام ٠٠ وما فى عبادة من العبادات الا ونشـــأ التجسيد فى معابدها ، النحت والفنون الاخرى ٠٠ الواحد يمكن أن يقـــول انها كلها فى البداية وجـــدت ملكاتها الأولى ، ثم تطـــورت ، بصور مختلفة ، فيما بعـــد ٠٠

الحيـــاة والفنـــون والجمـــال :

اذا كان قلنـــا : الفنون هى وســـيلة التعبير عـــن ملكة التعبير فينا ، يبقى ملكة التعبير دى عاوزة شـــنو ؟؟ ملكـــة التعبير (الحياة) عاوزة أن يكـــون فى تنغيم للحيـــاة ، عاوزة أن تكســـر ، وتطـــامن ، الشذوذ ، والنشوز ، الفى الحياة ، عـــاوزة تناســـق ، عـــاوزة جمال ، ان شئت ٠٠ لانه ، فى الجمـــال ، النفس البشرية بتجـــد طمأنينتها ، بتجـــد راحتها ، بتجـــد خروجها مـــن شذوذ المغـــامرة ، والمخـــاطرة ، والمفاجأة ٠٠ يعنى النغم الموســـيقى المنســـجم يريـــح انفســـنا لانو بيوجـــد ، فى الـــداخل ، طمأنينة تخـــرج مسألة الانزعـــاج البيجىء بالاصوات الصـــاخبة ، المفـــاجئة ، النشاز ، زى مـــا بنسميها ٠٠ كـــل

صورة فنية مــن صــور التعبير محــاولتها هى أن توجد الجمال ••

الفنون بشتى وسائلها ، وطــرقها ، محاولتها انمــا هى أن توجد الجمــال •• اذا كــان الانسان سأل عــن الجمال : هو شنو ؟؟

مــا هـــو الجمـــال :

اذا كان قلت : ان الجمال هـــو التناسـق ، مثلا ، فانت علـى حـق ، ولكــن ما كــل الحــق •• أنا أحب أن أقترح حــاجة هى فى البداية فى الموضــوع ، اقترح ان الجمــال هـــو العدل الانسانى •• العــدل الانسانى يمكنك ان تقــول عليهو جمــال •• زيد عـــن العدل الانسانى •• تعال فى المحبة الانسانية ، المعيشة مــع الناس فى سلام ـــ الســلام •• أنا أحب أن اقــدم ليكم النقطة دى لتكــون هى نقطــة اعتبار • ما مــن شك أنا عنــدى أن الجمال هـــو السلام •• بعدين نحـــن ما بنصل للسلام مــع الآخــرين الا اذا كنــا فى سلام مــع أنفسنا •• السلام مــع انفسنا معناهو اخراج النشاز القائم فى البنية البشرية •• البنية البشرية مقسومة •• القسمة الأولانية ، القبيل قلناها •• ولولا أن الانسان انقسم ، لمــا اترقى ، فى المكان الاول •• الحيــوان ما منقســم ، الطفل ما منقســم ، الا بما ورث • لكــن ، فى عمــره البيعيشه فى بداية حياته ، ما منقسم ، لكنو وارث للانقسام ، وبيعيش فى المجتمــع البيقسمه ، ماشى لينقسم ••فلــولا أن الانسان انقســم لمــا تــرقى ، ولمــا كمــل •• انقسامه بيمثــل انو عنــدو رغــائبه الأولانية البسترسل فيها كحيوان ، ما بيقيف عند حد •• ما فى ضابط ، الا تحصيل اللذة ، والفرار مــن الألم •• واستمر الاندفاع دا ، ولكنه عندما جاء الانسان ليكون بيعيش فى مجتمع ، وجــاء العرف ، وجــاء القانون ، وجاء الحــلال والحــرام ، اللى نحــن نوشك أن ندخــل فى الكلام عنو ، فيما سنتحدث عــن الاسلام ، لمــا جاء الحلال والحرام ،

أو قل ، ان اردت الدقة ، لما جاء العرف الأولانى (يمكن دا تجوز كثير فى استعمال الكلمة ، لما نحن نبدأ فى البدايات) ، لكن مجرد أن يكون فى عرف يقول انو دا يعمل ، ودا ما يعمل ، بدأت الشخصية البشرية تنقسم ، بمعنى انو انت اصبحت فى حاجة تضبط اندفاعاتك الأولانية ، الكانت قبيل عندك مندفعة بدون ضابط •• رغائبك كلها ما فى استعداد لان تستجاب •• المجتمع عاوز حاجات ما تعمل •• انت احد رجلين بتكون •• الفرد كان فى الوضع دا احد رجلين : اما رجل استرسل ليقضى لبانته ، زى ما كانت ، وبطبيعة الحال ، بتقع عليهو العقوبة البتقع ، وهى قد كانت عقوبة صارمة جداً فى المجتمعات البدائية •• أو رجل يكون عندو مقدرة على أن يضبط نفسه •• كانت العقوبات العملت فى المجتمعات الماضية جلها من شريعة التحريم والتحليل •• العقوبات التى لا تزال عندنا الآن •• هذه العقوبات الغرض منها أن تقوى الارادة البشرية البتسيرك وفق ما يجب •• ومن هنا جاء الانقسام •• والانقسام دا مرحلة •• لولا أن الانقسام جاء ، لما ترقى الانسان •• اذا لم يزل الانقسام ، لا يكمل الانسان •• فنحن اذن بنترقى فى مرحلتين : المرحلة الأولانية هى الانقسام ، والمرحلة الثانية هى ضم الانقسام ، وتوحيد البنية البشرية الانقسمت ••

الى حد كبير ، الفنون فى التعبيرات المختلفة ، فى ابراز الجمال ، وقيم الجمال ، فى تنغيم حياتنا الداخلية ، وحياتنا الخارجية ، غرضها ان يكون الانسان مع المجتمع انسان محب للقانون ، انسان منظم ، انسان عندو سيطرة على اندفاعاته ، وعلى نفسه ، انسان يملك أن يسير بسفينته وسط الانواء فى الجماعة •• وهناك نوعان من التنغيم : تنغيم الفرد مع الجماعة •• وتنغيم الفرد مع نفسه • نحن بنحاول أن نطور الجماعة لتكون راقية ، حتى انك لمجرد تنغيمك نفسك معها ، وانسجامك فيها ، وتوائمك معاها ، تكون انت اترقيت •• ثم لابد

لك مـن المحاولة الفردية فى أن توجد التنغيم الداخلى بين انقسامك ، لاننا نحـن لمـا انقسمنا قامت فينا قـوة ضد قـوة ـ قوة العقـل الواعى (الارادة) ضـد الفطـرة الأولانية « الشهوة » العاوزة تحصـل لذتهـا بكل سـبيل •• نحـن عاوزين نوجـد التنغيم دا بيناتن •• يمكنك أن تقول : فى نغمتين نحـن عاوزين نملأ الفـراغ بيناتن •• زى ما قلت ليكم عـن المـوسيقى ، عـن التعبير الفنى كله •• بالصور دى نوجد السلام الداخلى •• بالسلام الداخلى يجىء السلام الخارجى •• اذا كان الامر بالصورة دى ، فانى محـق اذ قلت ان العدل هـو الجمال ، وزدت علـى المسألة دى وقلت الخلق ، وزدت وقلت المعيشة فى سلام •• السلام هـو الجمال •• أنا افتكر انو دا قمة ما نحـاول نحـن أن نعبر عنـو •• حتى التناسق فى اعضـاء الجسد اللى انت بتنحته ، دا يمكنك أن تسـميه عـدل ، اذا شئت •• اذا زدت عليهو ، فهى تبقى مسألة اعطاء كل عضو مكانته مـن الضبط ، والنسبية ، والدقة ، والقـوة ، حتى لكأنك بتوجد جسد فى سلام مـع بعضه ، ما متنافر •• التناسق سلام •• دا كل ما يمكن ان تهدفه ليهو الكلمـة ، اذا كانت شـعراً أو نثراً أو غناء •• كل ما تهـدف ليهو الموسيقى •• كل ما يهـدف ليهو النحت ، والتصوير •• كل ما تهدف ليهو التعبيرات فى الرقص ، وفى كـل وسائل التعبير عـن ملكتنا •• وهو هـو كل ما تهدف ليهو العبادة أيضا •

مـا افتكر ضـرورى نتكلم عـن الفنون اكتر مـن كدا ، لانـو المجـال مفتوح فيها لنقاش أطـول •• والآن نجىء لنظرة الاسـلام للموضوع دا :ـ

نظـرة الاسـلام الى الفنون :

أول ما يجب ان يقال انو ما فى حرام ، وحلال ، الا فى اعتبارات

الشـــريعة •• ما فى حاجة هى حـــرام فى ذاتها •• الاعيان مـــا فيهن حرام ، لكـــن الحـــرمة حكـــم •• والسر فى الحكـــم ان تكـــون عندنا الارادة البتســـيرنا بين الحـــلال والحـــرام •• نأخذ مـــن الحـــلال ما شئنا ، ونجتنب الحـــرام •• عنـــدما تحـــاول تجتنب الحـــرام فى دوافع داخلية عاوزة منك ضبط ، وقوة ارادة ، وقوة فكر ، لتمنعك مـــن التردى •• دى الحكمـــة فى الحـــرمة ، حيث وجـــدت ، مـــــن نشأة العـــرف الأولانى ، والى يوم الناس دا •• ما فى حاجة هى حـــرام فى ذاتها •• وربنا يعبر لينا عن دا ، ويقول : « ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم ، وآمنتم ؟؟ وكان الله شاكراً عليما » •• أو يقول : « قل من حـــرم زينة الله التى اخـــرج لعباده والطيبات مـــن الرزق ؟؟ قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة •• كذلك نفصل الآيات لقـــوم يعلمون ❊ قل انما حـــرم ربى الفـــواحش ـــ ما ظهـــر منها ، وما بطن ـــ والاثم ، والبغى بغير الحق ، وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ، وان تقولوا على الله ما لا تعلمون •• »

كل المحـــرمات مـــن الصور الحسية انما هى حـــرمة بالحـــوالة واما الحـــرمة بالاصـــالة فانما هى عيـــوب السلوك •• السلوك بيـــدأ بالطـــريقة البتعيش بيها ، فى ســـــــلام مـــع نفسك ، وفى سلام مـــع الآخرين ، وهـــــذا هـــو مـــا سميناه « التنغيم » مـــع المجتمع ، أو العـــدل ، أو الســـلام ـــ فكل ما حـــرم انما حـــرم من اجـــل تربيتنا لنستطيع ان تكتمل عقولنا ، وادراكاتنا ••

الحـــرمة حكـــم شـــــرعى :

هنا ، اذا كان الانسان شاف النقطة دى حقيقة ، وذلك كونو التحريم حكم شرعى ، والحكم الشرعى ، دائما بتوخى تسييرنا نحـــن فى المراقى المختلفة ، يبقى ، بطبيعة الحال ، وبالبداهة ، بننتظر ان يكون فى سماحة ،

ان يكون فى تغيير فى شدة التحريم كلما تغيرت ادراكاتنا ، ولذلك الحرمة كانت غليظة فى الاول ، وبدت تقل ، وتقل ، لغاية ما هى ماشة لان تفضى الى الحل •• القرآن يقول لينا « ليس على الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، جناح ، فيما طعموا ، اذا ما اتقوا ، وآمنوا ، وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا ، وآمنوا ، ثم اتقوا ، واحسنوا •• والله يحب المحسنين » أو يقول هناك «قل لا أجد فيما اوحى الى محرماً على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة ، أو دما مسفوحاً ، أو لحم خنزير فانه رجس ، أو فسقاً أهل لغير الله به » فهذه اربعة •• ثم قال مواصلا سياقه : «فمن اضطر ، غير باغ ، ولا عاد ، فلا اثم عليه» •• الضرورة ترفع الحرمة •• المعرفة ترفع الحرمة •• لانه قد انتفى حظ النفس عند المضطر ، كما ينتفى حظها عند العارف بالله •• هنا ، اذا كان بقى واضح فى اذهاننا أنو التحريم أطوار ، وان الحكمة وراءه تربيتنا ، يجىء موضوعنا فى الاسلام •

الاسلام بيحرم النحت ، وبيحرم الرسم ، وبيحرم ، تبعاً لذلك ، التصوير •• ودى فيما روى عن ابن عباس انه قال ان النبى قال : « من صور صورة يعذ به الله حتى ينفخ فيها الروح ، وما هو بنافخ فيها ابداً •• »

صور الفوتغرافيا الحرمة قائمة فى حقها ، ولكن بصورة أخف •• حرمت الموسيقى ، وحرم الغناء ، عند بعضهم ، ما كلهم •• بعضهم بيرى أن الغناء ما حرام ، لكن ، فى عبارة ، انو لهو ، وكل ما يلهى عن الله ، عند بعض المتشددين من الفقهاء ، فهو حرام •• الحكمة فى التحريم مرحلية •• السبب فيها انو الناس ، زى ما قلنا ، كان عهدهم قريب بعبادة الأوثان ، وبالجاهلية ، ويمكن أن يحنوا الى الاوثان بالعبادة اذا ما رأوها تنحت •• برضهم كانوا قريبين عهد باللهو ، فى مواخير الجاهلية ، من

غناء ، ومـن رقص ، ومـن موسـيقى •• حرمت عليهم المسـائل دى لتعطيهم فرصة ليجمعوا انفسهم عليهم بـدل التوزيع البيحصل للانسان المعرض للغناء ، للهـو •• اذن يمكنك أن تقول ان الاسلام حرم مـن الفنون النحت ، والرسم ، والتصوير ، وكل ما يكـون ليه ظل •• حرم رسم أو تصـوير الانسـان ، أو الحيوان ، أو الطائر ••

رسـم الطبيعة غـير محـرم :

تسامح الشرع فى رسم الجبال ، أو رسم الشـجر ، أو زخـرفة الاقمشـة ، بالصور اليمكـن أن تكـون ماها انسان أو حيـوان ، أو طـائر •• الغـرض من التحـريم أن يقطـع حنين الانسـان للعبادة الوثنية •• أو ، بأيجاز ، يمكنك أن تقـول : ان تحـريم الدين ــ تحـريم الشريعة الاسلامية ــ للموضوع دا الغـرض منه مرحلى •• اذا كان هسع أى واحد مننا شـاف ليهو تمثال زى دا ، ما بينبعث فى ذهنه أى نـوع مـن العبادة ، أو أى شـعور بيها ، أو ميل •• الناس ، فى اول عهـدهم بالاسلام ، بينبعث فى ذهنهم شـعور زى دا •• لكـن ما ممكن أن ينبعث فى ذهنك ، أو فى ذهنى ، ولا فى ذهن أى واحد مـن الناس فى الوقت الحاضر •• لذلك الحكمة فى التحريم هـذا ، انما هى حكمة مرحلية ، الحكم فيها هـو حكم الوقت كيفما يكون •• والسر فى هـذا الحكم بينسـحب علـى حالة عبـادة النـاس فى وقتهم المـاضى ، كما ينسـحب علـى حالة العبـادة فى الوقت الحاضر ، ولكن لكل وقت حكمه •• فهـل يمكن للانسان ، مثلا الداعى الاسلامى ، فى الوقت الحاضر ، هل يمكن له ان يقـول للناس سيروا بطرق الفن الى الله ؟؟ بمعنى آخـر هل الدين (الشريعة) رفع كل اعتراضه علـى الفنون ؟؟ تلقى انو برضـو المسألة فيها نظـر •• هـذا النظر هـو تربية الانسان الفى حاجة لتربية •• كل مبتدىء

التوزيع يضره •• اذا كــان الانسان سار بالطــريق الــدينى المرسوم ليهو ، وكانت محــاولته هى أن ينحصر فى أن يوجــد نتيجة بطــريقة الدين ، اللى هى العبادة بالصورة الموجودة عندنا فــان الفنون توزعه ، والتوزيع يضره ••

الفنون تسـير النــاس الى الله :

اما اذا استوى ، فمن الممكن لهــذا الانسان أن يتخذ كــل وسائل التعبير لتسيره الى الله •• الانسان الاستطاع أن يجــد فرصة لتوجيه ، ورياضة نفسه ، حتى اصبحت عندو فلسفة حياة ــ عندو نظرة للاشياء ، عندو اتقان للتوحيد ــ ما فى شىء ، بالمرة ، يقطعه ، أو يوقفــه عــن الله •• النحت يــوديهو لى الله ــ يســيرو لى الله ــ الموســيقى تسيرو الى الله ، الرقص يسيرو لى الله ، وكل وسائل التعبير تسيرو لى الله •• فى المــرحلة الأولانية ــ فى شريعة الاســلام ــ المسائل دى حرمت •• هى محــرمة بنص الحــديث القريتو ليكم ، وذلــك لانهــا بتوشك أن تخلى الانسان يحن للعبادة ــ عبادة الاوثان ــ وتلك عبادة هــــو قــد كــان قريب عهــد بيها •• أما فى الوقت الحــاضر ، فى المرحلة الحاضرة ، فما أحب أن اقــوله هــــو ان وسائل الفنون كلهــا راح تسير الناس لى الله •• هسع ، فى الوقت الحــاضر ، كل المطلوب مـــن الناس هــــو ان يتوخوا ، فى أول مرة ، كيف يسيروا ، بطريق العبادة ، ليوجدوا نوع مـــن التماسك الداخلى ، نوع مـــن النظرة الموسعة •• بعدين كل انواع الفنون راح تكون مسيرة الى الله ••

المبتــدىء يضـــيق عليــه :

بايجاز !! التحــريم فى النهج البدائى للاسلام مؤكد •• فهــو ضـــد الموســـيقي للمبتدىء ، ضد النحت ، ضـــد التصوير ، ضـــد

الرقص ، ضـد كل مسألة مـن المسائل البتوزع المبتدىء ٠٠ اذا كـان الانسان استطاع أن يحصر نفسه فى نهج واحد ، اللى هـو العبادة ، ثم فى محـاوله احـراز التوسـع (باتقان التوحيد) فى المسـائل الاخرى ، مـن اساليب التعبير المختلفة ، والفنون اقـدمها ، والكلمـة اسلمها ، افتكـر بيكون فى سعة فيما بعد ٠٠ لكـن ، قبل ما تكـون فى سعة ، القاعدة عندهم أنو المبتدىء ، زى ما بترد العبارة الدارجية : « المبتدىء ابرته ما بتشيل خيطين ٠٠ » ٠٠ المبتدىء يجب أن يكـون عنده اتجاه فى الانحصار ، فهـو لا يمكـن ان يسمح ليهو ، فى مسألة الارتقاق بالفنون ، الا بالكلمة ، وموش بالموسـيقى ، لان الموسـيقى لا تعطى معنى محدد ٠٠ عنـدما انت يكـون عنـدك استعداد لتدرك عـن الوجود كله ، فان الموسـيقى أبلغ مـن الكلمة ، لان الموسيقى تقول لك كـل شىء عجـزت الكلمة عـن ان تقوله ٠٠ لكـن عنـد المبتدىء الموسـيقى بتشوش عليهو ، وأما الكلمة فانها محددة ٠٠ ولذلك تلقى ان القرآن يتخـذ موسـيقاه مـن الكلمات أولا ، ثم هـو ينطلق فى موسيقى علوية ، كأنما هى موسـيقى الوجود كله ٠٠ عنـد الكمـال ، للمكتمل ، القـرآن بيخـرج عـن كونو عبارات محددة ، ومضبوطة ، وبالصورة دى ، يبقى وحى علوى ، يعلمك كل شىء ، بدون أن يعلمك شىء بعينه ، خصوصاً المتشابه مـن القـرآن ٠٠ فـاذا كان أنا شخصياً سئلت عـن النهج اللى حقو يتجه ليه المسلمون كلهم ، فى الأمر دا ، أنا اعتقد أنهم كلهم يجب أن يتجهوا للعبادة ، بالانحصار فيها ، ثم فى تفتق الذهن ، فى اثناء العبادة ، فى معـانى الكلمات مـن القرآن ، وفى الشـعر الجيد ، مـن الشـعر العرفانى ، وباستمرار يكـون فى توسـع ٠٠ وكلمـا انت اتقنت التوحيد ، كلمـا قلت دائرة المحرمات عليك ، الى ان تكـون انت الانسان العندو الملكة التى تتلقى العلم بالله عـن كل شىء ٠٠ مافى فى الوجـود شىء ما بيدعو الى

الله •• ابليس ، زى جبريل ، داعى لى الله •• الله ، فى الحقيقة ، ما عندو عدو •• لكن ، فى مرحلة الشريعة ، الوجود مقسوم الى داعى لغير الله ، والى داعى لى الله •• مما يدعـو ، فى المرحلة ، لغير الله كـل ادوات اللهو، ومنها الفنون •• اذا كان انت استويت على الغاية ، بتسمع وترى الوجود كله جنود لى الله ، ودعاة لى الله ، ورسل من الله اليك تســوقك لى الله •• فاذا كنت انت فنان موهوب ولكـن مـا وجـدت الفرصة لتنحصر فى العبادة ، لتعرف ، لتخرج من الثنائية دى بتجـويد مستوى مــن التوحيد ، مــن المؤكد ان الفنون قـد تسيرك درجة ولكنها راح تقطعك ، ما بتوديك لى قـدام •• اذا كان فى شىء ، مـن العلوم المدنية ، بسير الناس الى سماحة فى الخلق ، الى مستوى مـن التنغيم الداخلى ، الى نوع مـن العـلاقة الحسنة مـع الحياة ــ نوع مـن السعة ــ فأن ذلك الشىء لهـو الفنون ، ما فى ذلك شـك •• ولكـن وسيلة الفنون قاصرة الا اذا تم لهـا التتويج بوسيلة الدين •• فكأنو ،اذن ، الاسلام فى أوله ، وفى آخره ، اعنى فى دعوته الأولانية ، وفى دعوته الثانية بيحـرم هـذا المسـتوى مـن الفنون ، لكـن داك علـى التعميم ، اعنى شـريعة عمومية ، ودا لكـل فرد شريعته ، اعنى شريعة خصوصية •• الحاجة السليمة هى انك انت تتوجه ، وتنحصر ••

كـل الفنون حـلال اليـوم :

انا شخصيا ما راح اكون مـن البوصوا انو يجىء تشريع يقـول الفنون حـرام •• لكـن يجب ان يجى تفهيم للناس يقـول لكل واحد: اذا كنت انت ما اسـتويت ، فى التوحيـد ، علـى درجة معينةمـن الاستواء ، فان الفنون بتصرفك ، وبتوزع جمعيتك ، وبتقطعك •• الفنون هى خير اساليب التسيير الى الله ، ولكن بعد ما انت توجد نوع مـن التنغيم الداخلى ، بتجويد التوحيد ، بالانحصار فى العبادة ، بالخروج

مـــن الدوامة بتاعة المجتمع ، وبتاعة التغييرات **المختلفة ، فى الفنون المختلفة** •• لغاية ما انت توجـد نوع مـــن القالب البتصب فيهـو نفسك ، وتصوغ اخلاقياتك ، وتجـد فلسفتك •• فـان انت وجـدت فلسفتك فى الحياة ، فانك خليـق ان تنفتح علـــى كل الفنون ، وكلهـا بتسيرك لى الله ، وسـيكون عندك حظ موفور مـــن ادراكها •• وقـد يكون عندك خط مـــن تجـويدها ، اذا كنت فنان ، بكل وسـائل التعبير فيهـا ، باكثر مما يكـون عنـدك قبل ان توجد هــذا النوع مـــن التربية الداخلية •• مـــن اجـل دا ، انا افتكر ، العبارات الكثـيرة الواردة فى الدعوة الى تنزيه القرآن ، وانه ما هـــو شعر •• القرآن يشبه الشعر ، وما هو بالشعر : «وما علمناه الشعر ، وما ينبغى له !!». وانت ، اذا جيت لدقائق القرآن ، فانه الشعر !! **و اكثر من الشعر!!** ولكن ملابسات الشعر فى عدم الالتزام ، وعدم الصدق ، هى ما نفـاهو الله عـــن القرآن ••

الاخـــلاق والفنـــان :

انا افتكر برضو الفنان ، كائناً مـــن كان ، **سواء اكان نحات ، او** موسيقار ، أو مصـورانى ، أو راقص ، أو ممثل ، بتلقاهو ما هـــو ملتزم ، ما عنـدو خلقية معينة ، اللهـم الا خلقية بيعتقد ان الفـــن بيسـتلزمها •• الخلقية الأنا بقصدها انما هى الصـدق فى مسـتوى الفعل ، القبيل انا قلته ــ الصدق الذى يتحد فيه الفكر ، والقبـول ، والفعـل •• انا ما بعتقد ان الفنـان ما عنـدو قيمـة خلقية فى نفسه يلتزمها ، لكن ، ما من شك ، انو موش فى مستوى الانضباط اللى نحن بنقصده •• لعل الفنان ، الموزع بالصورة دى ، بتلقاه يظهر بمظهر البهدلة كدا •• يرسل لحيته بصورة بدون تهذيب ، ولا تنظيم ، أو يلبس ملابس **مهزاة ، او يكون ماسائل فى** النظام ، أو فى رأى المجتمع •• قد يكون،

انا افتكر ، انه هـــو بيبحث عـــن قيمة • انا بحب ان اهـــديه للقيمة دى ، هى فى العبادة والقرآن •• سيجدها حاضرة حين يتجـــه للالتزام بادب القرآن — ادب شريعته وادب حقيقته ••

هنـــا اقف ، واترك ليكم الفرصة للنقاش •• اكثر مـــن كدا كثـــير عندنا مما يمكن ان يقال ، ولكـــن ، ما مـــن شك ، انكم بتعينوا كثـــير بمشاركتكم فى النقاش لاجلاء القضية دى •• شكراً